عنوان التظاهرة: الفكر التربوي بين التراث الكلامي و الصوفي

ملتقى وطني من تنظيم جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية –قسنطينة

مداخلة بعنوان:التكاملية في تراث الفكر التربوي الاسلامي و أثره في المجتمع

Integration in the heritage of Islamic educational thought and its impact on society

د/ صليحة بوالبردعة

قسم العقيدة و مقارنة الأديان–كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية –قسنطينة

يوم:10جانفي 2022م

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية الى بيان أصالة الفكر التربوي الاسلامي وثرائه وتنوع مدارسه و اتجاهاته بشكل تكاملت فيه مختلف العلوم ،الأمر الذي أنتج المسلم المتحضر الحامل لرسالة الاسلام ،وأهم ما توصلنا اليه هو أن التنوع الحاصل بين المدارس الفكرية هو من قبيل التفاعل الايجابي الذي أنتج حضارة،ذات رؤية كونية توحيدية انعكست حتى على العلوم الكونية.

summary:

This research paper aims to demonstrate the originality of Islamic educational thought, its richness, and the diversity of its schools and trends in a way that integrates various sciences, which produced the civilized Muslim who carries the message of Islam. The most important thing we have reached is that the diversity that occurs between schools of thought is a form of positive interaction that produced a civilization with a unified universal vision that was reflected even in the universal sciences.

مقدمة

من أهم الاشكالات المطروحة على الساحة الفكرية المعاصرة ؛الحديث عن المنظومة التربوية و أهم الاشكالات التي تعاني منها الدول الاسلامية من أجل النهوض بالمجتمعات و الارتقاء بها ،لذا تأتي أهمية الحديث عن الفكر التربوي الاسلامي بين التراث الكلامي و الصوفي كتجربة تاريخية رائدة استندت في أصولها على الفكرة التوحيدية ، ونظرا لسعة الانتاج الفكري في المجالين، تطرح اشكالية التكاملية في الفكر التربوي بين التراث الكلامي و الصوفي .

للإجابة عن هذه الاشكالية سوف نتناول الموضوع من خلال النقاط الآتية:

مفهوم الفكر التربوي الاسلامي

نشأة الفكر التربوي الاسلامي

أهداف الفكر التربوي الاسلامي

مدارس الفكر التربوي الاسلامي

مظاهر التكامل في الفكر التربوي الاسلامي

أثر تكامل الفكر التربوي الاسلامي في المجتمع

أولا:مفهوم الفكر التربوي

يعرف الملكاوي الفكر التربوي بقوله « أنَّ الفكر التربوي هو مجموعة المعتقدات والمبادئ التي تحدِّد ملامح الشخصية البشرية المراد تشكيلها في المجتمع، وتحدِّد مِنْ ثَمَّ خصائص ذلك المجتمع المنشود .وتنبثق هذه المعتقدات والمبادئ من" رؤية العالَم "التي يتبنّاها المجتمع عن الكون والحياة والإنسان وتجتمع فيها الأسس التي تُبْنى عليها سائر الأنظمة في

المجتمع :السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية،والتربوية ...بصورة تتصف بالتوازُن والتكامُل .وهذا هو حال الفكر التربوي في المجتمع،في أيِّ عصر من عصوره.» [1]

نلاحظ من خلال هذا التعريف قصدية العملية التربوية التي تعتمد على الجانب النظري الوجداني و هو الاعتقاد ، و التطبيق العملي من خلال سلوك الفرد ومن ثم المجتمع .وهو ما يؤكده التعريف الموالي « التربية هي تلك العملية الموجهة توجيها قائما على بصر لتحويل الأفكار و المبادئ على المستوى النظري إلى سلوك على المستوى الفعلي.» [2]

ثانيا: نشأة الفكر التربوي الاسلامي

تلخيصا لنشأة الفكر التربوي الاسلامي يتبين أن لقد التراث ظهر بالتدريج أخذا عن منابعه التي أحدثت تحولا تم « في عهد الرسالة عن طريق التربية القرآنية والنبوية، بصورة متدرِّجة في ظلِّ الحالات والمناسبات والأحداث التي يمرُّ بها الأفراد، ويمرُّ بها المجتمع الناشئ .وبعد عهد الرسالة بقيت نصوص القرآن الكريم وبيانها العملي في السُّنة والسيرة النبوية هي المرجعية الحاكمة لكل أمور العلم والتعلُّم؛ فقد تطوَّر فهم هذه النصوص وما فيها من توجيهات إلى علوم الفقه وأصوله، فدُوِّنت كتب الفقه، وتوزَّعت في مدارس فكرية عُرِفت بالمذاهب الفقهية، ودُوِّنت كتب العقيدة وقضايا الإيمان، وتوزَّعت في مدارس فكرية عُرِفت بالمذاهب الكلامية .وتطوَّرت الحاجة إلى تعلُّم اللغة العربية وضبطها، فاستُحدِثت علوم في قواعد اللغة نحواً وصرفاً، وفي معاجم المفردات والمعاني، وصنوف الأدب والنقد .ونظراً لأنَّ العهد أخذ يبتعد بالناس عن لغة القرآن الكريم والحديث النبوي؛ فقد جاءت كتب التفسير والشرح لتقريب المعاني الأصلية وفق مناسباتها ومقاصدها .ولم تكن علوم التاريخ والسير والفلك والهندسة والطب غائبة عن هذه الحركة العلمية المتواصلة.» [3]

يتعلق التعليم بمجالين هما محتوى يعد موضوعا للتعليم و طرق التعليم ؛ حيث أن « كتب التراث في الموضوعات المختلفة كتبها مؤلفوها من أجل أن تقرأ ، وتكون مادة للتعليم في مرحلة من مراحل عمر المتعلمين . وبهذا المعنى ، يمكن القول إن التراث العربي

---

[1]-حسن الملكاوي ، الفكر التربوي الاسلامي ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي،فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية،ط1 ،(1442هـ-2020م) ص 26.

[2]-سعيد اسماعيل علي ،اتجاهات الفكر التربوي الاسلامي، دار الفكر العربي،القاهرة،1991م،ص 11.

[3]-حسن الملكاوي ، الفكر التربوي الاسلامي ،مرجع سابق ،(1442هـ-2020م) ص 515.

الاسلامي المكتوب في معناه العام هو تراث تربوي تعليمي .و ثمة معنى آخر للتراث التربوي الاسلامي ، وهو ذلك التراث الذي يتضمن موضوعات عن التربية و التعليم بالمعنى الخاص ، أي الكتب التي تحتوي مادة عن واحد أو أكثر من الموضوعات الآتية : العلم ، و المعلم، و المتعلم ، وطرق التعليم ، ومناهج التعليم ، مؤسسات التعليم ، و تمويل التعليم ، واجازات التعليم ، وغير ذلك مما له صلة بالتعليم و التعلم ، سواء كان منهج عرض هذه المادة منهجا فقهيا ، أو فلسفيا ، أو تاريخيا ، أو أدبيا ، أو صوفيا ،الخ.» [1]

أي ما يعد فكرا تربويا ينقسم الى قسمين :

- محتوى كتب التراث بتخصصاتها المختلفة.
- ما ألف عن التعليم وطرقه و مناهجه.

ثالثا:أهداف الفكر التربوي

يمكن حصر أهداف الفكر التربوي فيما أجمله عاطف السيد في النقاط الآتية:

1-يسعى المنهج الإسلامي إلى تحقيق هدف شامل هو إعداد الإنسان الصالح القادر على عمارة الأرض وترقيتها وفقا لشريعة الله.

2- تحقيق إيمان الفرد بالعبودية لله, ويظهر ذلك في قوله وعمله.

3- معرفة الله وتقواه، ويتحقق ذلك بعقد الصلة الدائمة بين الإنسان وخالقه في كل فكر أو عمل أو شعور، والتفقه في الدين والتمسك بمكارم الأخلاق، والقيم والمبادئ الرفيعة. [2]

[1]-هيئة التحرير، مبدأ التكامل المعرفي في الفكر التربوي و التراث التربوي اسلامية المعرفة، ع87، 2017م،ص6-7 .

[2]-عاطف السيد ،التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، دار الفكر للطباعة و النشر،2008 ،ص48.

رابعا:مدارس الفكر التربوي الاسلامي:

قسم سعيد اسماعيل علي في كتابه اتجاهات الفكر التربوي الاسلامي مدارس الفكر التربوي الى ما يأتي: [1]

1- المدرسة الفقهية :تعد من أهم المدارس التي قدمت اجتهادات ترتبط بأحوال المسلمين و ظروفهم معتمدة على الكتاب و السنة.
2- المدرسة الفلسفية :تطرق الفلاسفة المسلمون الى مجال التربية كما اتناولوا مواضيع مشتركة مع علوم التربية كموضوع الانسان.
3- المدرسة الكلامية :تناول المتكلمون المباحث التربوية و ما تعلق بالطبيعة الانسانية و المعرفة بصفة عامة.
4- المدرسة الصوفية:التي اهتمت بالجانب الأخلاقي و السلوكي و بعض الآراء في العلم و المعرفة.

خامسا:مظاهر التكامل في الفكر التربوي الاسلامي

1-التكامل في المنهج: المنهج العقلي ، الذوقي ، الحسي- العملي-

يظهر التكامل في المنهج من خلال تنوع مجالات الفكر التربوي ،حيث أن « منهج المعرفة الموصل الى الحقائق الصحيحة التي تتحول الى تطبيقات تربوية مثمرة في حياة الانسان هو المنهج الذي يتكامل فيه الوحي الصحيح و العقل الصائب و الحس السليم.» [2]

فالعقل « تساعده الحواس ، ومن ثم أتت نظرة الاسلام للحس كقيمة ، فهو منفذ العقل على الواقع ، ووظيفته إدراك المحسوس .» [3]

كما توجد « المعرفة الإلهامية أو الذوقية ، وهذه تعتمد على أدوات أخرى للوصول إليها و هي البصيرة.» [4]

---

[1]-سعيد اسماعيل علي ،اتجاهات الفكر التربوي الاسلامي، مرجع سابق ،ص59 و ما بعدها.

[2]-ماجد عرسان الكيلاني ،فلسفة التربية الاسلامية،مكتبة المنارة ،مكة المكرمة،دار المنارة ،جدة،ط1 ،(1407هـ-1987م) ،ص298.

[3]-علي خليل أبو العينين ،أصول الفكر التربوي الحديث ، دار الفكر العربي،القاهرو،ص 111.

وفي بيان هذا يقول الغزالي «اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى في القلب . والأول يسمى إلهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الأنبياء

والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء » [1]

2-التكامل في المضمون (التربية الروحية ، التربية الفكرية، و التربية الجسديةوفي مجالها بين الفرد و المجتمع) حيث أن المنهج الاسلامي « ينظر إلى الدين والإنسان المجتمع نظرة كلية وشاملة؛ إذ إن الإسلام الذي تقوم على أساسه التربية الإسلامية شمولي في اهتماماته وفلسفة تفسيره للوجود والكون والحياة مؤكدا التصور الجامع بين الروح والمادة وبين النفس والجسم وبين الفرد والجماعة، وبالتالي بين الدنيا والآخرة.» [2]

3-تكامل غايات التربية (الاستقامة و تحقيق الخلافة في الأرض ، الفوز في الآخرة.)

إن غاية التربية الاسلامية هي اعداد الفرد لتحقيق خير الدنيا(الخلافة على الأرض) و خير الآخرة (الفوز بالجنة) فقد « كان المربون المسلمون قد تناولوا أغراض التعليم ،و يكادون يعتبرونها في نهاياتها التقرب الى الله و تمثل الفضيلة التي دعا إليها ، فإن هذا نابع من فهم كامل و استيعاب تام لوظيفة الإسلام ،باعتباره نظاما فرديا و اجتماعيا و روحيا و كونيا و حضاريا يهتم بالدنيا كما يهتم بالآخرة على صعيد واحد ....فعنوا بتدريس علوم الدين و الشريعة ، كما عنوا بتدريس علوم اللسان و التاريخ و الجغرافيا و الكيمياء ،

---

[4]-المرجع نفسه،ص 112.

[1]-أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين،دار المعرفة ،بيروت،(د.ت)، ج3،ص18.

[2]-كمال الدين عبد الغني المرسي، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، دار المعرفة الجامعية،ط1 (1419هـ- 1998)، ص: 161

و الفيزياء و الهندسة و الفلك وغيرها ، واستطاعوا بهذه التربية الجامعة أن يشيدوا حضارة رائعة قدمت للعالم زادا ثقافيا علميا ، كان هو الأساس في تطور الحضارة الحديثة كلها.» (1)

4-التكامل بين العلوم الدينية و الكونية

تتكامل العلوم الدينية و العلوم الكونية سواء في غرس أصول الايمان أو قيام الحضارات ، وهذا التكامل سببه وحدة مصدر المعرفة ووحدة أدواتها و فرقائها .

تتفاعل العلوم الدينية و الكونية من خلال ما يأتي :

-تمد العلوم الدينية الأمة التي تعتنق الدين ب"رسالة" تجتمع عليها و تسعى لتسخير العلوم الكونية لخدمة هذه الرسالة و تحقيق أهدافها

- يتعمق التفاعل بين الرسالة و أدوات تحقيقها أي بين العلوم الدينية و العلوم الكونية و يقوى و يفرز ثمراته الحضارية بمقدار توافق الحقائق الدينية و الحقائق العلمية.

- يستمر الاتجاه الايجابي للحضارة مادامت الحقائق الدينية الصحيحة تمد الرسالة و توجه أهدافها و تحفظ المجتمع من مضاعفات الترف و الطغيان و الانغماس في ثمار الحضارة المادية.

-يتوقف التفاعل بين الدين و الحضارة حين يظهر سوء فهم ديني عاجز عن مسايرة التطور و توجيه الرسالة و تقديم أهداف الحضارة و تقديم الحلول الصحيحة لمشكلاتها .فتسير الحضارة دون أهداف و لا ارشاد حتى تنتهي الى الانحلال و السقوط. (2)

---

(1)-علي خليل أبو العينين ،أصول الفكر التربوي الحديث ، مرجع سابق،ص 107

(2)-ماجد عرسان الكيلاني ،فلسفة التربية الاسلامية،مرجع سابق ،ص 284-285.

سادسا:أثر تكامل الفكر التربوي الاسلامي في المجتمع

يتجلى أثر التكامل في تكوين الفرد الرباني و من ثمة تكوين المجتمع الرسالي و هذا يتحقق من خلال

أولًا: الحفاظ على الفطرة وتنميتها من خلال تعريف الإنسان بخالقه، وبناء العلاقة بينهما على أساس ألوهية الخالق وعبودية المخلوق.

ثانيًا: تطوير سلوك الفرد وبناء –أو تغيير اتجاهاته اللفظية والعملية السلوكية ،بحيث تتسق وتتطابق مع السلوك والاتجاهات الإسلامية .

ثالثًا: إعداد لمواجهة متطلبات حياته في هذه الدنيا ،وهذا هو ما يطلق عليه اليوم الإعداد المهني للحياة، أي التوجيه الى السلوك العملي و الانتاج.

رابعًا: بناء المجتمع الإسلامي الصالح الذي تقوم نظمه على أساس شريعة الإسلام استنادًا إلى الكتاب والسنة،

خامسًا: إعداد المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية ونشرها في العالم كله حتى ينتشر الحق وتعلو كلمة الله في الأرض، وهذا يقتضي الأخذ بأسباب القوة بكل مظاهرها.

سادسًا: غرس القيم الإيمانية الإسلامية في نفوس النشء مثل وحدة الإنسانية والمساواة بين البشر ، والإخلاص وإحضار النية ، والصبر ، والصدق: ، ومراقبة الله ، والتقوى: إلى آخر هذه القيم كالتوكل على الله والاستقامة والمبادرة إلى الخيرات ... إلخ. أي أن الغاية هي انشاء الفرد المؤمن في اطار انسانية الانسان الصالح و المصلح.

وهكذا نرى أن أهداف التربية الإسلامية تحقق التكامل بين الأهداف الدينية والدنيوية كما تحقق التفاعل الخلاق واللقاء الدائم بين الإنسان وخالقه، بين القلب والعقل، بين الدنيا والآخرة. [1]

---

[1]–نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الثالثة 1418هـ–1998، 123.

-اكساب المجتمع الحصانة الايمانية و الفكرية من كل ما هو دخيل (حماية فكر المجتمع من التغريب و مطاعن الأعداء في المصادر الشرعية و العقيدة الاسلامية.)أي أن يكون فاعلا لا صاحب ردود أفعال.

خاتمة :

من خلال ما سبق بيانه نخلص الى أن الاختلاف في الفكر التربوي الاسلامي بكل مدارسه هو اختلاف تكامل من حيث المنهج والغاية والطبيعة و المجالات، لأن مصدر هذا الفكر هو الكتاب و السنة ، إن هذا التنوع هو ثراء أثر بشكل ايجابي و فاعل في المجتمع الاسلامي وهو ما يحفظ هوية الأمة الاسلامية.

قائمة المراجع

1 - أبو العينين ،علي خليل ،أصول الفكر التربوي الحديث ، دار الفكر العربي،القاهرة،(د.ت).

2- السمالوطي، نبيل ، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة،ط3، (1418هـ-1998م).

3- السيد، عاطف ،التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها ،دار الفكر للطباعة و النشر،2008.

4- الغزالي، أبو حامد ،إحياء علوم الدين،دار المعرفة ،بيروت، ،(د.ت).

5- الكيلاني، ماجد عرسان ،فلسفة التربية الاسلامية،مكتبة المنارة ،مكة المكرمة،دار المنارة ،جدة،ط1 ،(1407هـ-1987م) .

6- المرسي، كمال الدين عبد الغني ، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، دار المعرفة الجامعية،ط1 (1419هـ- 1998).

7- الملكاوي، حسن ، الفكر التربوي الاسلامي ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي،فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية،ط1 ،(1442هـ-2020م).

8 –سعيد اسماعيل علي ،اتجاهات الفكر التربوي الاسلامي، دار الفكر العربي،القاهرة،1991م.

9 –هيئة التحرير، مبدأ التكامل المعرفي في الفكر التربوي و التراث التربوي اسلامية المعرفة، ع87، 2017م.